الآيات ١٥٨ - ١٦٢

السعي بين الصفا والمروة وجزاء كتمان آيات الله

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٥٨): عن أنس بن مالك ﷺ أنّه سئل عن الصّفا والمروة، فقال: "كُنَّا نَرَى أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلاَمُ أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾"[(١)].

وعَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ قَالَ: "قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدِيثُ السِّنِّ: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ، فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. فَمَا أُرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: "كَلَّا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ، كَانَتْ: فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾"[(٢)].

ويوضّح ذلك ما رواه الشّعبيّ: أنّ وَثَنًا كان في الجاهليّة على الصّفا يسمّى "إسافًا"، ووثنًا على المروة يُسمّى "نائلة"، فكان أهل الجاهليّة إذا طافوا بالبيت مَسحوا الوثَنين. فلمّا جاء الإسلام وكُسرت الأوثان، قال المسلمون: إنّ الصّفا والمروة إنّما كانَ يُطاف بهما من أجل الوَثنيْن، وليس الطّواف بهما من الشّعائر! قال: فأنزل الله: إنّهما من الشّعائر، ﴿فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ، فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(٣)] أي فلا حرج على المسلمين في السّعي بينهما، لأنّهم يسعون لله لا للأصنام.

سبب نزول الآية (١٥٩) وما بعدها: كان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يكتمون بعض ما في كتبهم بعدم ذكر نصوصه للناس عند الحاجة إليه، أو السؤال عنه، ويتعمّدون إخفاء ما ورد من البشارات ببعثة خاتم النبيين محمد ﷺ حتّى لا يؤمن به النّاس، كما يُخفون بعض الأحكام الشرعيّة كحكم رجم الزّاني، ويكتمون بعضها بتحريف الكلم عن مواضعه، والتأويل للآيات على غير معانيها إتّباعًا للأهواء، ففضحهم الله تعالى بهذه الآيات، التي سجّلت عليهم وعلى أمثالهم اللّعنة العامّة الدّائمة."[(٤)].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس، حديث رقم: ٤٤٩٦، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إنّ الصّفا والمروةَ من شعائرِ الله﴾.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عروة، حديث رقم: ٤٤٩٥، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إنّ الصّفا والمروةَ من شعائرِ الله﴾.
(٣) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن الشعبي، حديث رقم: ٢٣٣٥، ج٣، ص٢٣١.
(٤) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن إبن عبّاس، حديث رقم: ٢٣٧٠، ج، ص٢٥٠.

المناسبة بين الآيات: كان تحويل القبلة في الآيات السّابقة نعمة كبرى على المسلمين، إذ جعلتهم مستقلّين عن التّبعة لغيرهم، ومكّنتهم من الإشراف على البيت الحرام، لتطهيره من الشّرك والوثنيّة، ووجّهت أنظار المسلمين نحو مكّة، قلب الجزيرة والعالم. ولمّا أثنى الله على الصّابرين، وكان الحجّ من الأعمال الشّاقة المضنية للمال والبدن، ناسب هنا ذكر بعض شعائر الحجّ، وهو السّعي بين الصّفا والمروة، لإتمام النّعمة بالإشراف على مكّة، والتّذكير بأهمّيّتها، وإقامة مناسك الحجّ فيها، وكلّ من الاتّجاه إلى الكعبة والسّعي هو أيضًا إحياء لملّة إبراهيم عليه السلام، فلا مسوّغ بعدئذ لمعاندة أهل الكتاب والمشركين في تحويل القبلة، ولا داعي لمحاولتهم زرع الأحقاد والضّغائن ضدّ المسلمين الذين أمرهم الله بالاستعانة بالصّبر والصّلاة.

فالصّفا كناية عن الجلال- البلاء- والمروة كناية عن الجمال- النّعماء- والسّعي بينهما سعي بين الجلال والجمال، أي بين البلاء والنّعماء. فلمّا ذكر النّعم وشُكرها في الآيات التي سبقت، ثمّ ذكر البلاء والصّبر عليه، ناسب أن يذكر هنا السّعي بين الصّفا والمروة. لأنّ حياة الإنسان عبارة عن جولات وسعي بين البلاء والنّعم، وعلى الإنسان أن يكون عبدًا لله في الصّبر والشّكر وتحسين الظّنّ بالله لأنّ ما قدّره الله هو عين العطاء. ومآل الجلال دائمًا إلى الجمال، والبلاء إلى الفرج. ومن أعظم أبواب الفرج موت الإنسان، لأنّه يخرج من سجن الدّنيا إلى سعة الآخرة، إذ لا راحة للمؤمن إلّا بلقاء ربّه.

المعنى العام

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

جاء في حديث جابر الطويل: "أنّ رسول الله ﷺ لمّا فرغ من طوافه بالبيت،... ثمّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثمّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ "أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ"، فَبَدَأَ بِالصَّفَا"[1].

وعَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَاةَ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ وَرَاءَهُمْ، وَهُوَ يَسْعَى حَتَّى أَرَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ شِدَّةِ السَّعْيِ يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿اسْعَوْا فَإِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ﴾[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾ أي إنّ السعي بين الصّفا والمروة ممّا شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحجّ، وقد جاء في حديث ابن عبّاس: أنّ أصل ذلك مأخوذ من سعي سيدتنا هاجر، وتردّدها بين الصّفا والمروة في طلب الماء لولدها بعد أن نفد ماؤهما وزادهما، وخافت على ولدها الضّيعة، حين تركهما إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع، وليس عندهما أحد من النّاس، فقامت تطلب الغوث من الله ﷻ، فلم تزل تتردّد في هذه البقعة المشرّفة بين الصّفا والمروة، متذلّلة خائفة وجلة، مضطرّة فقيرة إلى الله ﷻ، حتّى كشف الله كربتها، وآنس غربتها، وفرّج شدّتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿زَمْزَمُ طَعَامُ طُعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ﴾[1]. فالسّاعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذلّه، وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله ﷻ كي

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ١٢١٨، كتاب: الحجّ، باب: حجة النّبيّ ﷺ.
(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي الدرداء، حديث رقم: ٢٦٨٢، كتاب: أبواب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، الحديث حسن.

يُفرّج عنه ما هو فيه من النّقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصّراط المستقيم، وأن يثبّته عليه إلى مماته، وأن يحوّله من حاله الذي هو عليه من الذّنوب والمعاصي، إلى حال الكمال والغفران والسّداد والاستقامة، كما فعل بهاجر عليها السلام.

يقول الحقّ ﷻ: إنّ الطّواف بين الصّفا والمروة من معالم دينه ومناسك حجّه، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ فمن قصد البيت للحجّ أو العمرة، ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ولا يضرّه الصّنمان اللّذان كانا عليهما في الجاهليّة فإنّ الله محا ذلك بالإسلام، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فمن زاد في طوافه بينهما في حجّةٍ أو عمرةٍ تطوّعٍ، أو تطوّعَ خيرًا في سائر العبادات. ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ﴾ يشكر فعله ويجزل ثوابه، فيثيب على القليل بالكثير ﴿عَلِيمٌ﴾ بقدر الجزاء فلا يبخس أحدًا ثوابه، ولا يظلم مثقال ذرّة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

وعيد شديد من الحقّ ﷻ لمن كتم ما جاءت به الرّسل، ولأحبار اليهود الذين كتموا صفة الرّسول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ من الدّلالات البيّنة على المقاصد الصحيحة في كتابهم، من صفة سيّدنا محمّد ﷺ ومن الآيات الواضحات في شأنه، وبيان صفته وبلده وشريعته، ﴿وَالْهُدَى﴾ النّافع للقلوب، وما يهدي إلى وجوب اتّباعه والإيمان به، ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ في التّوراة، ﴿أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ﴾ أولئك الكاتمون يلعنهم الله ويطردهم عن ساحة رحمته، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ من الجنّ والإنس، وكلّ من يتأتّى منه اللّعن. فأخبر تعالى أنّه يلعنهم كلّ شيء على صنيعهم هذا، على عكس العالم الذي يستغفر له كلّ شيء، حتّى الحوت في الماء والطّير في الهواء "... وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي الْمَاءِ..."[1]، لأنّ عكس اللّعن الاستغفار. ثمّ استثنى الله تعالى من هؤلاء من تاب إليه فقال ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الكتمان، ورجعوا عمّا كانوا فيه ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم وما أفسدوا من الدّين بالتّدارك، ﴿وَبَيَّنُوا﴾ للنّاس ما كانوا يكتمونه ﴿فَأُولَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ وأرحمهم، وهذا من شريعة نبيّ التّوبة والرّحمة ﷺ. ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ المبالغ في قبول التّوبة وإفاضة الرّحمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ثمّ أخبر تعالى عن مصير من كفر به واستمرّ به الحال إلى مماته ولم يتب ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ومن يعتدّ بلعنته ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ خالدين في اللّعنة إلى يوم القيامة المصاحبة لهم في نار جهنّم ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ لا ينقص عمّا هم فيه ساعة، ﴿وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ فلا يمهلون عنه بل هو عذاب متواصل دائم، ولا ينتظرون للاعتذار أو الفداء.

قال أبو العالية وقتادة: إنّ الكافر يوقف يوم القيامة فيلعنه الله، ثمّ تلعنه الملائكة، ثمّ يلعنه النّاس أجمعون.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. **وجوب السّعي بين الصفا والمروة:** السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحجّ والعمرة لكلّ من طاف بالبيت حاجًّا أو معتمرًا، وذلك استنادًا إلى قول النّبيّ ﷺ: «اسعَوا فإنّ الله كتب عليكم السّعي».

٢. **مكانة الصفا والمروة في الشعائر:** شُرع السعي بين الصفا والمروة كجزء من النسك، وذلك لمكانتهما بجوار البيت الحرام، وكما شُرع الطواف بالبيت ركنًا في النسك، فالسعي أيضًا ركن لا يتمّ الحجّ أو العمرة بدونه.

٣. **قبول التوبة:** الآية فيها دلالة على أنّ الله يقبل التوبة من عباده مهما بلغت ذنوبهم، بما في ذلك من دعا إلى الكفر أو البدعة. وفي الإسلام رحمة واسعة، بخلاف الأمم السابقة التي لم يكن يُقبل فيها مثل هذا النوع من التوبة، كما جاء في بعض النصوص.

٤. **الحثّ على فعل الخيرات:** الآية ترغّب في الإكثار من فعل الخير، سواء كان من الواجبات أم النوافل، لأنّ ذلك يقرّب العبد من الله ويزيد من حسناته.

٥. **أهميّة العقيدة الصحيحة:** الآية تؤكّد على خطورة العقيدة وأهميّة تعلمها وإتقانها، لأنّ البقاء على الإيمان الصحيح حتّى الممات هو سبيل النجاة. وفي المقابل، من مات على الكفر سيخلّد في نار جهنم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

٦. **حرمة كتمان العلم:** يُحرّم كتمان العلم الذي أُنزل من عند الله لما فيه من ضلال للنّاس. وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لولا آية من كتاب الله ما أخبرت أحدًا شيئًا." فلما سُئل عن هذه الآية، أجاب: " ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾. تدلّ هذه الآية على عظم إثم كتمان العلم، وأنّ التوبة منه واجبة بشرط الإظهار ٧. والتبيين.

شروط التوبة من الظلم والجهل: تُقبل توبة من أفسد بالظلم أو الجهل بشرط إصلاح ما أفسد، وذلك بتصحيح ما ٨. حرّف أو بدّل أو غيّر، وإظهار الحقّ الذي كتمه، وأداء الحقوق التي أخذها بغير وجه حقّ.

مصير من مات على الكفر: من مات على غير دين الإسلام ولم يتب من كفره، يُخلّد في نار جهنم، حيث لا يُخفّف ٩. عنه العذاب ولا يُنظر إليه ليقدّم اعتذارًا. وسيبقى في العذاب دائمًا دون راحة أو تخفيف.

في بيان وجوه مسؤوليّة العبد يوم القيامة: عن أبي برزة الأسلميّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[1].

(١) رواه التّرمذيّ، عن أبي برزة الأسلميّ، حديث رقم: ٢٤١٧، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: في القيامة، الحديث حسن صحيح.

من أسماء الله الحسنى: الشّاكر (الشكور):

شرح الاسم: الشكور

- المُجازي على الشّكر.
- هو الذي وهب التّوفيق والهدى للطّائعين، ويشكرهم بين العالمين، فيثني على من أطاعه بذكر أفعاله الحسنة وطاعاته.
- هو المثيب على القليل من الطّاعة بالكثير من النّعمة ويجازي الحسنة بأضعافها.
- هو الذي يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير، ويعطي للطّائعين في العمر المحدود رضوانه الأكبر في دار الخلود.

التّعلّق باسم الله الشّكور:

- هو صرف الجوارح الظّاهرة والباطنة، في مرضاة الله، لأنّ الشّكر ضامن المزيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].
- أن ترى مِنّة الله عليك وفضله، وأن يشعر قلبك أنّ الله تعالى تفضّل عليك بكثير من النّعم وأنت لا تستحقّ منها شيء، فتعترف بعجزك عن الشّكران وبتذكّرِ نِعَمِهِ على الدّوام. والدّواء الوحيد لحفظ النّعم هو شُكر المُنعم الكريم والسّير على الصّراط المستقيم، وأنّك مهما فعلت فلن تؤدّيَ شُكرَ هذه النّعمِ. وعليك أن تنسبَ كلَّ نعمةٍ عندَكَ إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[2].
- هو الثّناء على المُحسن بما أولاك من معروف فلا تذكر البلايا وتنسى النّعم.
- بأن لا نعصي الله بنعمه، فشكر البدن هو أن لا تستعمل جوارحك بأمور خارجة عن طاعته، وأن تحافظ على صلواتك وعباداتك لأنّ الصّلاة هي عبادة الشّكر.

  بشكر الله على النّعم الظّاهرة والنّعم الباطنة.
- أن تكون عبدًا شكورًا قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[3]، والشّكور هنا هو أن لا تفرح بالنّعمة وتعلّق قلبك بها، بل تفرح بالمُنعم فتعلّق قلبك به سبحانه.
- هو أن لا تجد أنّ أحدًا له فضل عليك سواه تعالى، ولا حتّى أنت لك فضل على نفسك، بل كل هذا من فضل الله وتوفيق الله لك، وما بكم من نعمة فهي من فضل الله. ومن الاعتراف بالعجز أن تشكر الله تعالى على نعمه.

في الأمر والنّهي

التّحذير من علماء السّوء

كثرة الجهل والفتوى بغير علم، وما أكثر الجهلاء الذين يتصدّرون للفتوى بغير علم في هذه الأيّام، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا))[4].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: خَرَجنا في سَفَرٍ فأصابَ رجلًا معنا حَجَرٌ فشَجَّهُ في رأسِهِ، ثمّ احتَلَمَ، فسألَ أصحابَه فقال: هل تَجِدُونَ لي رُخصةً في التيمُّمِ؟ قالوا: ما نَجِدُ لكَ رُخصةً وأنتَ تَقدِرُ على الماءِ، فاغتَسَلَ فماتَ، فلمّا قَدِمْنا على النّبيّ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧. (٢) سورة النحل، الآية: ٥٣. (٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ١٠٠، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم.

ﷺ أُخبِرَ بذلك، فقال: «قَتَلوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، ألا سألوا إذْ لم يَعلَموا، فإنّما شِفاءُ العِيِّ السُّؤالُ، إنّما كانَ يكفيهِ أن يَتَيَمَّم ويَعصِرَ- أو يَعصِبَ- على جُرحِهِ خِرقةً، ثمّ يَمسَحَ عليها ويَغسِلَ سائِرَ جَسَدِه»[1].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»[2].

من صفات الجاهلين:

١. كثرة الجهل والفتوى بغير علم.

٢. الاعتراض والإنكار على سلف الأمّة وعلمائها. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3].

٣. الدّعوى إلى التّفريق بين المسلمين، بإثارة النّعرات الطّائفيّة أو العرقيّة، أو لأيّ سبب كان. فالعلماء الصّادقون عليهم أن يجمعوا لا أن يفرّقوا، وأن يُطفئوا الفتنة لا أن يوقظوها، لحديث أنس ﷺ قال: «الفِتنةُ نائِمةٌ لعَنَ اللهُ مَن أيقَظَها»[4]. وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ»[5]، وعن أَنَس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ: "فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»[6].

٤. تكفير الآخرين، وقد حذّر النّبيّ ﷺ من ذلك، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»[7] وعن النّبيّ ﷺ قال: «وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»[8].

٥. ومنها أنّهم يقولون ما لا يفعلون. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[9] وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»[10].

٦. ومنها أنّهم يبيعون دينهم بثمن قليل. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[11] فالدّنيا وما فيها ثمنه قليل مقابل ما كتموه من الحق، وعن رسول الله ﷺ، قال: «مَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَقْبِلَ إِفَادَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَإِلَى النَّارِ»[12].

(١) رواه أبو داود في سننه، عن جابر، حديث رقم: ٣٣٦، كتاب: الطهارة، باب: المجدور يتيمم.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن عمر بن الخطاب، حديث رقم: ١٤٣، مسند: الخلفاء الراشدين، مسند: عمر بن الخطاب ﷺ، الحديث إسناده صحيح.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٩-١٠.
(٤) رواه المتّقي الهنديّ في كنز العمال، عن أنس، حديث رقم: ٣٠٨٩١، كتاب: الفتن والأهواء...، باب: في الفتن والهرج.
(٥) رواه أحمد في مسنده، عن أبي الدرداء، حديث رقم: ٢٧٤٨٥، مسند: القبائل، مسند: من حديث أبي الدرداء عويمر، الحديث صحيح لغيره.
(٦) رواه أحمد في مسنده، عن أنس، حديث رقم: ١٣٤٢١، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، الحديث صحيح.
(٧) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦١٠٣، كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل...
(٨) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ثابت بن الضحّاك، حديث رقم: ٦٦٥٢، كتاب: الإيمان والنذور، باب: من حلف بملّة سوى ملّة الإسلام.
(٩) سورة الصف، الآية: ٢-٣.
(١٠) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أسامة، حديث رقم: ٣٢٦٧، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة.
(١١) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.
(١٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن كعب بن مالك، حديث رقم: ٢٩٣، كتاب: العلم، باب: وأما حديث كعب بن مالك، الحديث صحيح.

٧. ومن صفاتهم أيضًا حلاوة منطقهم، وعذوبة ألسنتهم، يتظاهرون بالرّحمة الزّائدة عن ما ورد عن أرحم خلق الله أجمعين ﷺ.

٨. ومنها الكذب على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٢].

فهذه صفات علماء الفتنة في زماننا، ألا فلنحذرهم! لأنّهم أدوات هدم وتخريب وتدمير، ولنعرف عمّن نأخذ ديننا وعلمنا، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣].

السّعي بين الصّفا والمروة

الأحكام الشّرعيّة

س هل السّعي بين الصّفا والمروة فرض أو تطوّع؟

ج اختلف الفقهاء في حكم السّعي بين الصّفا والمروة:

١. **القول الأوّل**: أنّه ركن من أركان الحجّ، من تركه يبطل حجّه وهو مذهب (الشّافعيّة والمالكيّة) وإحدى الرّوايتين عن الإمام أحمد.

٢. **القول الثّاني**: أنّه واجب وليس بركن، من تركه وجب عليه دم، وهو مذهب (أبي حنيفة والثّوريّ).

٣. **القول الثالث**: أنه تطوّع (سنّة) لا يجب تركه شيء، وهو مذهب ابن عباس وأنس، ورواية عن الإمام أحمد.

في الأخلاق والآداب

التخلّق باسم الله تعالى الشكور:

- عبد شكور: أي سهل الإرضاء يرضى بالقليل فيرى القليل كثير ودومًا راضٍ، قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ»[٤].
- أن تؤدّي زكاة النّعمة.
- أن تذكرَ دومًا أنّ الفضل لله تعالى، فهو مَن أمدّك بهذه النّعم وقد يَسلُبُها مِنكَ متى شاء. فلا تُعِب غَيْرَكَ إذا لم يكن عنده ما عندك، فيصيبَك قولُه ﷺ: «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»[٥].
- أن تشكر من أدّى إليك معروفًا، وذلك بتعظيمِ اليسيرِ والجزاءِ عليه بالكثير. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ»"[٦]، فالمؤمن الحقّ شكور، قال ﷺ: «وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَافَيْتُمُوهُ»[٧] وإن أدّى أحدهم إليك خدمة وأنت لا تعلم من هو فادعُ له في ظهر الغيب.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٦.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن المغيرة، حديث رقم: ١٢٩١، كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٤) رواه إبن ماجة في سننه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٢١٧، كتاب: الزهد، باب: الورع والتقوى، الحديث إسناده حسن.
(٥) رواه التّرمذيّ في سننه، عن واثلة بن الأسقع، حديث رقم: ٢٥٠٦، كتاب: أبواب صفة القيامة والرّقائق والورع، باب: ٥٤، الحديث حسن غريب.
(٦) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي سعيد، حديث رقم: ١٩٥٥، كتاب: أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، الحديث حسن.
(٧) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عمر، حديث رقم: ٢٣٦٩، كتاب: البيوع، باب: وأما حديث معمّر بن راشد، الحديث إسناده صحيح.

- أن تذكر دومًا فضل أحدهم عليك مهما كان صغيرًا فلا تنساه أبدًا، وتستشعر أنّ حقّه عليك عظيم بشكر ما يوليه لك من الإحسان.
- أن تشكر والديك.
- إنّ الله يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده دون بذخ، فوضع النّعمة في مواضعها شكر، فلا تبخل.

من الأخلاق المُحمَّديّة: الأمانة العلميّة

جاءت الشرائع السماوية، لهداية البشرية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقد أمرنا الإسلام بتعليم الجاهل، وهداية الضال، ودعوة الناس إلى الله، حتى تقوم الحجّة على النّاس، ولا يبقى لأحدٍ عذر عند الله يوم القيامة.

ولمّا كان ما أنزله الله من البيّنات والهدى، لم ينزل إلّا لخير النّاس، وهداية البشريّة إلى الطريق المستقيم، وكان كتم العلم وعدم تبليغه إلى الناس فيه تعطيل لوظيف الرسالة ، التي بعث الله بها رسله وأنبياءه، وفيه خيانة للأمانة التي ائتمن الله عليها العلماء ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ...﴾. لذلك فقد شدّد الله النكير على من كتم شيئاً ممّا يحتاج النّاس إليه، وخاصّة من أمور الدين، وأوعد بالعذاب الأليم لكلّ من كتم آيات الله، أو أخفى أحكام الشريعة، لأن الكتمان جرم عظيم، يستحقّ مرتكبه اللعن والإبعاد من رحمة الله عز وجل.

وفي هذا دلالة واضحة ، على عناية الإسلام العظيمة، بنشر العلم والثقافة، لتبليغ دعوة الله إلى الناس وانتشال الأمة من براثن الجهل والضلالة، فنشر العلم عبادة، وكتمه جناية، وقد قال ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» وقال ﷺ «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

في السّيرة والشّمائل

حادثة إسماعيل عليه السلام مع أمّه "هاجر"

أمر جلّ ثناؤه المؤمنين بالسعي بين الصفا والمروة، عند الحجّ أو العمرة، وجعل السعي من شعائر دين الله، ومن معالم طاعته، وذلك إحياءً لحادثة تاريخيّة من أروع الذّكريات في تاريخ الإنسانيّة، تلك هي حادثة إسماعيل عليه السلام مع أمّه "هاجر" المؤمنة الصابرة، بعد أن تركهما الخليل إبراهيم عليه السلام في مكان قفرٍ ليس فيه أنيس، ولا سمير، ولا ساكن... تركهما امتثالاً لأمر الله سبحانه في هذه الصحراء الشاسعة الواسعة، التي لا يسكنها أحد، لأن الله عزّ وجلّ يريد أن يعمرها بالسكان، ويجعل هذه البقعة المباركة مكانًا لبناء بيته العتيق، ومهوى لأفئدة الملايين من البشر.

وكان إسماعيل طفلًا رضيعًا، فلما أراد إبراهيم عليه السلام الرجوع، تبعته "أم إسماعيل" فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا المكان القفر، الذي لا أنيس فيه ولا سمير!؟ فجعل لا يلتفت إليها مخافة أن تصرفه عن تنفيذ أمر الله، ثم قالت: يا إبراهيم: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيّعنا الله.

ثم رجعت وانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنيّة بحيث يراهم ولا يرونه، استقبل بوجهه جهة البيت ثم دعا بهذه الدعوات المباركات التي ذكرها القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[2]. ثم انطلق يقطع الصحارى والقفار، حتى عاد إلى وطنه الأوّل في أرض فلسطين، بعد أن ترك زوجته وولده في رعاية الله وحفظه.

بقيت "أم إسماعيل" وحيدة مع طفلها ترضعه، وتشرب من ذلك السقاء الذي معها، وتأكل من الثمر الذي تركه

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

لها إبراهيم عليه السلام، وعطش ولدها "إسماعيل" فجعلت تنظر إليه يتلوّى من شدّة العطش، يكاد يهلكه الظمأ، فانطلقت تفتّش له عن ماء، فوجدت **الصفا** أقرب جبل يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا؟ ولكنها لم ترَ أحدًا، فهبطت من الصفا ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى وصلت إلى المروة فلم ترَ أحدًا، فأخذت تهرول وتسعى بين **الصفا والمروة** سبع مرات.

قال ابن عباس: «فذلك سعي النّاس بينهما» حتى إذا أشرفت على الهلك، وتلاشت قواها، سمعت صوتًا من بعيد، فقالت: قد أسمعتَ فأغثْ إن كان عندك غواث، ثمّ نظرت فإذا هي برجلٍ جميل الطلعة عند مكان زمزم، فهرولت نحوه تظنّه بشرًا، فإذا هو ملك من ملائكة الله، فضرب بجناحه الأرض فإذا بالماء يفور كأنّه نبع دافق، وكانت زمزم التي هي آية من آيات الله، ثم قال لها الملك: لا تخافي الضياع فإنَّ لله ههنا بيتًا سوف يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لن يضيّع أهله».

هذه خلاصة الحادثة التاريخيّة، والذكرى الخالدة، التي أراد الله أن يعمر بها بيته العتيق، ويجعل منها مناسك للحجّ وشعائر لدينه الإسلامي المجيد.

في السّلوك

إنّ العلماء إذا كان علمهم وتعليمهم لله، يكون مثلهم كمثل الإمام في الصّلاة، ولا يجوز كتم العلم لمستحقّيه.

الإشارة: الصّفا والمروة إشارة إلى الرّوح الصّافية والنّفس اللّيّنة الطيّبة، فالاعتناء بتطهيرهما وتصفيتهما من معالم الطّريق، وبهما يسلك إلى عين التّحقيق، فمن قصد بيت الحضرة لحجّ الرّوح بالفناء في الذّات، أو عمرة النّفس بالفناء في الصّفات، فلا جناح عليه أن يطوّف بهما ويشرب من كأسهما، حتّى يغيب عن حسّهما، ومن تطوّع خيرًا ببذل روحه لله، والغيبة عنها في شهود مولاه، فإنّ الله يشكر فعله، وينشر فضله ويظهر خيره، ويتولّى أمره، والله ذو الفضل العظيم.

الإشارة في الآية ١٥٩ لمن كاشفه الحقُّ سبحانه بعلم من آداب السّلوك ثمّ ضنّ بإظهاره للمريدين على وجه النّصيحة والإرشاد استوجب المقت في الوقت، ويخشى عليه نزع البركة عن علمه متى قصَّر فيه لما أخَّر من تعليم المستحِقّ.

تداركوا ما سلف من تقصيرهم بحسن الرُّجْعَى، والقيام للمريدين على وجه النّصيحة، وبيَّنوا لهم- بجميل البيان وإقامة البرهان على ما يقولون- حسنَ قيامهم بمعاملاتهم. فإنَّ أظهرَ الحجَج لبيانِ أفعالك وأصدقَ الشّهادةِ لتصحيح ما تدعو به الخلْق إلى الله ألّا يُخالِفَ بمعاملتك ما تشير إليه بمقالتك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[1].

الإشارة: ما قيل في أحبار اليهود يقال مثله في علماء السّوء من هذه الأمّة، الذين ملكتهم جيفة الدّنيا، وأسرهم الهوى، الذين يقبضون الرّشَا على الأحكام، فيكتمون المشهور الواضح، ويحكمون بشهوة أنفسهم، فأولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللّاعنون، وفي ذلك يقول ابن المبارك رحمه الله:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا
وَبَاعُوا النُّفُوسَ وَلَمْ يَرْبَحُوا ... وَلَمْ تَغْلُ فِي الْبَيْعِ أَثْمَانُهَا
لَقَدْ رَتَعَ الْقَوْمُ فِي جِيفَةٍ ... يَبِينُ لِذِي الْعَقْلِ إِنْتَانُهَا

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللهُ تعالى: أَبِي يَغْتَرُّونَ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا﴾[١].

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: "تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاعْمَلُوا بِهِ وَلَا تَتَعَلَّمُوهُ لِتَتَجَمَّلُوا بِهِ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ إِنْ طَالَ بِكُمْ زَمَانٌ أَنْ يَتَجَمَّلَ بِالْعِلْمِ كَمَا يَتَجَمَّلُ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ"[٢].

قال رسول الله ﷺ: ﴿بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٣].

في الأدعية والأذكار

يُسنّ للمعتمر إذا بلغ الصّفا أن يقرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، يبدأ بالصّفا، وعند استقبال القبلة، يوحّد الله ويكبّره، ويقول: **(لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلّا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده).**

وذلك لما روي عن رسول الله ﷺ: "فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[٤]" أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ" فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: **"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ" ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"**[٥].

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٤٠٤، كتاب: أبواب الزهد، باب: باب، الحديث حسن غريب.
(٢) رواه القرطبيّ في جامع بيان العلم وفضله، عن أبي بن كعب، حديث رقم: ١٢٢٦، باب: جامع القول في العمل بالعلم.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١١٨، كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل الفتن.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ١٢١٨، كتاب: الحجّ، باب: حجّة النّبيّ ﷺ.